في الخلق بل في الدنيا باسرها بل في كل ما سوى الله فان الدنيا مكارة خداعة قتالة لاربابها معادية
لهم في الباطن ومظهرة صورة الود فما امتلأت منها دار حبرة الا امتلأت عبرة كما ورد
في الخبر وانشد الثعلبي في وصف الدنيا

تنح عن الدنيا ولا تخطبنها ... ولا تخطبن قتالة من تناكح
فليس يفي مرجوها بمخوفها ... ومكروهها اما تأملت راجح
لقد قال فيها القائلون فاكثروا ... وعندي لها وصف لعمري صالح
سلاف قصاراها ذعاف ومركب ... شهي اذا استلذذته فهو جامح
وشخص جميل يونق الناس حسنه ... ولكن له اسرار سوء قبائح

والمعنى الثاني ان يترك له في حق الله سبحانه وتعالى فانه اذا انكر معرفته جهل اذ ما قدروا الله حق قدره
وطاعته رياء اذ لا يتقي الله حق تقاته وحبه معلول اذ لا يدع شهوة من شهواته في حبه ومن اراد الله
به خيرا بصره بعيوب نفسه فيرى مصداق هذا البيت في نفسه وان كان على الرتبة بالاضافة
الى الغافلين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وقال اني
لاستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة وانما كان استغفاره من احوال هي درجات بعد بالاضافة
الى ما بعدها وان كانت قربا بالاضافة الى ما قبلها فلا قرب الا ويبقى وراءه قرب لا نهاية له اذ سبيل
السلوك الى الله عز وجل غير متناه والوصول الى اقصى درجات القرب محال والمعنى الثالث ان ينظر
الى مبادي احواله فيرتضيها وينظر في عواقبها فيزدريها لاطلاعه على خفايا الغرور فيها فيرى ذلك
من الله فيستمع البيت في حق الله شكاية من القضاء والقدر وهذا كفر كما سبق بيانه وما من بيت
الا ويمكن تنزيله على معان وذلك بقدر غزارة علم المستمع وصفاء قلبه الحالة الرابعة سماع
من جاوز الاحوال والمقامات فعزب عن فهم ما سوى الله حتى عزب عن نفسه واحوالها ومعاملاتها
وكان كالمدهوش الغائص في عين الشهود الذي يضاهي حاله حال النسوة اللاتي قطعن ايديهن في
مشاهدة جمال يوسف حتى بهتن وسقط احساسهن وعن مثل هذه الحالة يعبر الصوفية بانه
فني عن نفسه ومهما فني عن نفسه فهو عن غيره افنى فكأنه فني عن كل شيء الا عن الواحد المشهود وفني ايضا عن
الشهود فان القلب ان التفت الى الشهود والى نفسه بانه مشاهد فقد غفل عن المشهود
فالمستهتر بالمرئي لا التفات له في حال استغراقه الى رؤيته ولا الى عينه التي بها رؤيته ولا الى قلبه
الذي به لذته والسكران لا خبر له من سكره والمتلذذ لا خبر له من التذاذه انما خبره من الملتذ به فقط

فالمستغرق

ومثاله

١٣٦

ومثاله العلم بالشيء فانه مغاير للعلم بالعلم بذلك الشيء فالعالم بالشيء مهما ورد عليه العلم بالعلم بالشيء
كان معرضا عن الشيء ومثل هذه الحالة قد تطرأ في حق المخلوقين وتطرأ ايضا في حق الخالق
ولكنها في الغالب تكون كالبرق الخاطف الذي لا يثبت ولا يدوم فان دام لم تطقه القوى البشرية
فربما اضطرب تحت اعبائه اضطرابا تهلك نفسه فيه كما روي عن ابي الحسن النوري
انه حضر مجلسا فسمع هذا البيت

ما زلت انزل من ودادك منزلا ... تتحير الالباب عند نزوله

فقام وتواجد وهام على وجهه فوقع في اجمة قصب قد قطع وبقيت اصوله مثل السيوف
فكان يعدو فيها ويعيد البيت الى الغداة والدم يخرج من رجليه حتى ورمت ساقاه وقدماه وعاش
بعده اياما ومات رحمه الله فهذه درجة الصديقين في الفهم والوجد وهي اعلى الدرجات
لان السماع على الاحوال وهي ممتزجة بصفات البشرية نوع قصور وانما الكمال ان يفنى
بالكلية عن نفسه واحواله اعني انه ينساها فلا يبقى له التفات اليها كما لم يكن للنسوة التفات
الى الايدي والسكاكين فيسمع بالله ولله وفي الله ومن الله وهذه مرتبة من خاض لجة الحقائق
وعبر ساحل الاحوال والاعمال واتحد بصفاء التوحيد وتحقق بمحض الاخلاص فلم يبق
فيه منه شيء اصلا بل خمدت بالكلية بشريته وفني التفاته الى صفات البشرية رأسا ولست
اعني بفنائه فناء جسده بل فناء قلبه ولست اعني بالقلب اللحم والدم بل سر لطيف له الى
القلب الظاهر نسبة خفية وراءها سر الروح الذي هو من امر الله عز وجل عرفها من عرفها وجهلها
من جهلها ولذلك السر وجود وصورة ذلك الوجود ما يحضر فيه فاذا حضر فيه غيره فكأنه
لا وجود الا للحاضر ومثاله مثال المرآة المجلوة اذ ليس لها لون في نفسها بل لونها لون الحاضر فيها
وكذلك الزجاجة فانها تحكي لون قرارها ولونها لون الحاضر فيها وليس لها في نفسها صورة بل صورتها
قبول الصور ولونها هو هيئة الاستعداد لقبول الالوان ويعبر عن هذه الحقيقة في سر
القلب بالاضافة الى ما يحضر فيه قول الشاعر

رق الزجاج ورقت الخمر ... فتشابها فتشاكل الامر
فكأنما خمر ولا قدح ... وكأنما قدح ولا خمر

وهذه مقام من مقامات علوم المكاشفة منها نشأ خيال من ادعى الحلول والاتحاد
وقال انا الحق وحوله يدندن كلام النصارى في دعوى اتحاد اللاهوت بالناسوت
او تدرعها بها او حلولها فيها على ما اختلفت فيه عباراتهم وهو غلط محض يضاهي غلط من يحكم

المجلوه

Copyright © King Saud University